من خصالك ... أن تموت واقفا !!

« وفي صدرك استقر جرح عميق .
عندما بدات الزخة الاولى من الرصاص
ولكنك .. ايها السرو الصامد
لم تسقط ارضا حتى النهاية
فمن خصالك ان تموت واقفا !! »

بهذه الابيات بدات جريدة « النجم الاحمر » الشيوعية ــ لسان حال المنظمة الثورية لحزب توده الايراني ــ نعيها للاديب الشهيد خسرو كلسرخي الذي اعدمته السلطات الايرانية صبحه الثامن عشر من شباط ١٩٧٤ . كان الشهيد الشاعر ، ماركسيا لينينا بارزا ، نذر كل حياته لقضية الثورة الايرانية ، وقد اعتقل في اواخر ١٩٧٣ بسبب نشاطه الثوري ، وحكمت عليه المحكمة العسكرية مع رفيقه « كرامت الله دانشيان » ، وصادقت محكمة الاستئناف على الحكم الجائر وتم تنفيذه بهما في ١٨ شباط ١٩٧٤ .

وفي مرافعته الشهيرة اثناء المحاكمة الثانية ، قال الشهيد كلسرخي : «لعرف كل الشعب الايراني والسادة الصحفيين الذين يحضرون المحاكمة بأنني احاكم هنا فقط بسبب افكاري الماركسية ، وبسببها حكمت علي المحكمة العسكرية بالاعدام. وقد فرضت علي المحكمة الاولى حوا فاشا لم يسمح لي بتقديم مرافعتي كاملة . انني كماركسي ــ لينيني ، احترم الدين والشريعة الاسلامية ، ولكني اعتقد اسه في اي مكان من الدنيا .. في البلدان التابعة الرازحة تحت الهيمنة الاستعمارية ، لا يمكن ان توجد حكم وطني ، فمثل هذا الحكم لا يقام الا على اساس ماركسي » .

وفي مقال للشهيد حول بابلو نيرودا ، يستعرض تجربة نيرودا في الشعر والعلاقة مع الجماهير وذلك من خلال الإستشهاد بنيرودا نفسه . فيصف كيف كان نيرودا معروفا في الخارج اكثر من بلده شيلي . فمقد العزم على الاندماج بالجماهير الشيلية ، ولما بدا يتجول في الريف ، لاحظ ان الفلاحين لا يفهمونه جيدا . فاندمج معهم اكثر .. وعرف مشاكلهم ومشاعرهم وتعلم لغتهم ، وبعد ذلك بدا الناس في ريف شيلي يفهمون شاعرهم بشكل افضل .

ويخلص الشهيد في نهاية مقاله الى ضرورة التعلم من تجربة نيرودا ، ومكافحة روح الانعزالية والغرور والتعالي على الجماهير والانغماس في الهموم الذاتية لدى الشعراء ، وضرورة اندماجهم التام مع الجماهير ووضع ابيهم في خدمتها .

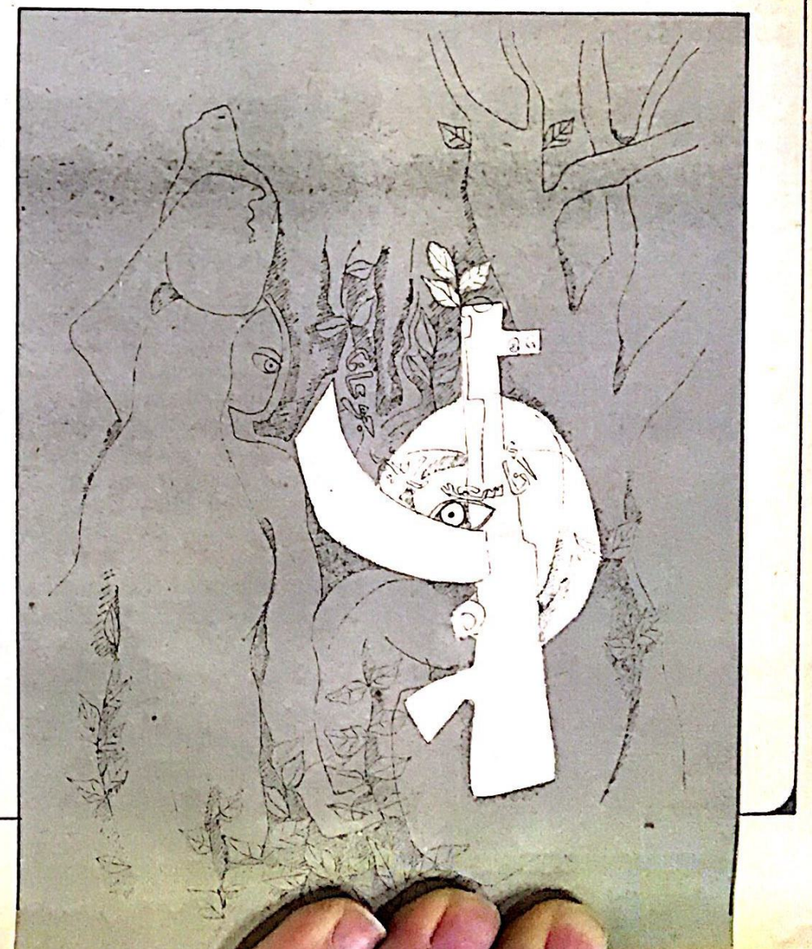

مرثية الى الوردة الحمراء الصغيرة

عيونك اطلالة ربيع
بعد سنوات عجاف
وايديك لا تزال غير قادرة على حمل المدية

وانت بملابسك الرثة ..
وعيونك تلمع فيها الحسرة واللهفة للركض واللعب

وانت حيرى من الاصوات كلها
قلت لي بصوتك الطفولي :
لم يعرف احد بجوعنا وعرينا
ولم يتحدث به يوما ... و ..
وسكتي .

والريح كمشط اعوج
تتجانب شعرك يمينا ويسارا ..
وكانت الاغصان المتهادية عاليا
تردد لحنك

وتنشد رسالتك في الفجر
« ساعلق في جيدك اكليلا من اوراق السرو

كتب صدرت حديثاً

(قصائد مهرية الى حبيبتي اسيا)
للشاعر محمد علي شمس الدين

عمت المأساة ملونا بالرمز
ــ وغناء للنغم الحزين ــ
وداع للنغم والرمز الى الموت
الهاديء في الاعماق الصاخبة

صدر حديثا من دار الاداب الديوان الشعري الاول لمحمد علي شمس الدين « قصائد مهرية الى حبيبتي اسيا .

والقصائد هذه انما هي لوحة جمالية تتصارع فيها المعاناة العميقة للانسان « الراحل عن الجنوب اليه » عوالم شعر لانسان العصر الذي انهكه البحث عن خبز وعن نغم » .

هناك مات ذلك الرجل مبتة ماساوية القسمات ، حيث كان الشاعر قريبا من الدبابة الاسرائيلية التي داست سيارة الرجل فجعلت منه « شيئا ما » يتمزق قد يكون العالم هو ذلك الشيء وقد يكون الرحيل الاخير لعالم القيم ، لنرى كيف عبر الشاعر عن المأساة وبعدها نستطيع ان نقول من هو القتيل.

لا فاصل يا قاتلي
ما بين الدم وبين الحلم القاتل
يا عارية في الشمس وعارية
في الماء وعارية
في النار
وعارية في جسد المقتول .

اذا فالتطلع الى المستقبل هو تطلع الى الانسان القاتله ما بين الحلم والحلم واقعا يتعذب امنيه راودت الشاعر لا تجاب الا في اسئلة وجدانية قد تكون نهاية احلام وبداية المعاناة بالرمز.

ففي قصيدته فاتحة للنار في خرائب الجسد انسان يبحث عن انسان اخر في اعماق الموت الهادىء

لماذا تكون البحيرات منشورة
والطيور السماوية اللون ماسورة
في السلاسل ؟
لماذا تموت العصافير مقتولة بالاغاني
لماذا تكون التواريخ موتا مكررا ؟

وعن الجنوب المنفي بين عوالم الشعر والمعاناة وعوالم الواقع المزهو بالقتل كان الانتظار طويلا وفي الاسطورة ياتي البطل المخلص « الامام المنتظر » ولكن : يبقى السؤال حائر القسمات

من يخلص هذه الامة من موت القتل وقتل الموت
وبرج الشفق وشفق البرج وموت الموت بين البرج
وبين الشفق موت اخر وبين الموت وبين الموت
سكين للموت

على ان الصورة الجمالية عند « محمد علي شمس الدين » تبقى بعمق المأساة وللشعر عند الرجل رداء الكلمة الجميلة ، فلا المعاناة تكون على حساب الجمال ولا الاخير تفقد الشاعر ذلك العمق المبدع .

ففي احدى اغاني الكتاب الجميلة نستطيع ان نلمح ذلك العمق الملون بالنغم .

لا انت
ولا الفرس المصلوب على كتفيك
ولا اشياء
لا انت
ولا اغراس اللحم
ولا الانسلاء

لا انت ولا الاسماء

ولكننا في تجوالنا مع قصائده نلمح ذلك العمق الماساوي لابن الجنوب الذي فقد ظله وبقي يغني الجنوب على اساس انه الجزء الوطن المغتصبتحت شرائع الاضطهاد الرجعي ، وبقي يبحث للانسان الرمز عن ماوى انساني ينجيه هذا الموت اليومي ــ والحقيقة نقول :

ان في شعره شيئا ما جديدا على عوالمنا الشعرية قد يبدو انه قد يكون احد البدائل للشعراء الذين كانوا يكتبون بالرمز من اجل الابتكار . اما هو فللرمز عذاب يتلون في شعره بحثا مضنيا عن بديل . فالرجل اذا للفظة فارس ، والشعر عنده انطلاق الى الوقائع تسجل تسجيلا جماليا معاناة العصر .

خليل اليوسف